مطارحات في اللغة والأدب

مجلة علمية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لغليزان / الجزائر
تعنى بالدراسات الأدبية والنقدية واللسانية

مما جاء في هذا العدد

- الملامح الحجاجية في الخطاب السياسي عند الرئيس الأمريكي براك أوباما. — د. مفلاح بن عبد الله
- اللغة بين البحث اللساني والممارسة التعليمية. — د. مجاهد ميمون
- التّشكيل المعجمي في القرآن الكريم من منظور استشراقي. — أ. عبد الوهاب بن دحان
- التيه النقدي واتساع مدى النقد الثقافي. — د. ياسمين فيدوح
- التوظيف الأسطوري في الشّعر القبائلي. — أ. آيت سعيد أسيا
- الفهم واللّغة ؛ حقيقتان متلازمتان. — أ. سلس حفيظة
- الحلف في العصر الجاهلي وصورته في الشعر. — د. أحمد إبراهيم العدوان
- نحو النَّصّ في كِتاب مجاز القرآن. — د. نزيه عبد الكريم اعلاوي

د. صالح محجوب محمد التنقاري
د. عبد الناصر عثمان صبير

العدد
03
مارس 2011

Scanné avec CamScanner

❖ التوظيف الأسطوري في الشعر القبائلي.

..... أ. آيت سعيد أسيا 111

❖ المرجعية المعرفية للدرس اللغوي بين القديم والحديث.

..... أ. حاج علي فاضل 125

❖ الرهان الرومانسي بين المد الإيقاعي والجزر الدلالي.

..... أ بن شيحة نصيرة 147

❖ تحولات الشخصية ودلالاتها في الخطاب السيميائي السردي.

..... أ.مهاجي فايزة 157

❖ المستويات المعرفية للمصطلح النقدي الجزائري القديم.

..... أ.بلعجين سفيان 165

❖ المقاربة التاريخية في النقد العربي الحديث.

..... د.عباس محمد 178

❖ التنبيه النقدي واتساع مدى النقد النقابي.

..... د.ياسمين فيدوح 195

❖ التعليل الفيزيائي لظاهرتي التفخيم والترقيق.

..... أ.براهيمي بوداود 200

❖ منهجية التعريف والمصطلح لدى الرّازي.

..... أ.خرمازة مريم 209

❖ مقاربة مفهومية للتناص في النقد المعاصر.

..... أ.طالب عبد القادر 217

❖ تعليمية النّص المسرحي في الطور المتوسطي.

..... أ. زوبرة عياد 224

❖ الفهم واللّغة:حقيقتان متلازمتان.

..... أ. سلس حفيظة 233

❖ التورية في ضوء العلاقات الاستبداليّة.

..... أ. خيرة بن علوة 252

❖ صورة العرب عند جاك بيرك في كتاب «les Arabes».

..... أ.حرز الله شهرزاد 267

Scanné avec CamScanner

... لذا فإن النص المتداخل هو : نص يتسرب إلى داخل نص آخر ليجسد المدلولات ، سواء وعى الكاتب بذلك أو لم يع »[2] غير أنه ليس هناك تعريف موحد لمفهوم التناص فهو «مصطلح عائم بالنظر إلى المرجعية والممارسة والظاهرة الإبداعية من جهة ، وبالنظر إلى طبيعة المفهوم وحداثته من جهة أخرى »[3].

لقد ارتبط مفهوم التناص " l'intertextualité" في بادئ الأمر بالشكلانيين الروس وبالتحديد مع "شلوفسكي" فقد كتب « إن العمل الفني يدرك في علاقاته بالأعمال الأخرى وبالاستناد إلى الترابطات التي نقيمها فيما بينها وليس النص المعارض وحده الذي يبدع في تواز وتقابل مع نموذج معين ، بل إن كل عمل فني يبدع على هذا النحو »[4].

ثم جاء الناقد السوفياتي ميخائيل باختين Mikhail –Bakhtine (1895- 1975) الذي فتق الفكرة وحوّلها إلى نظرية حقيقية تعتمد على التداخل القائم بين النصوص[5] ، حيث يقول" باختين " في هذا الإطار أن العمل الأدبي والروائي يوجه خاص: «إطار تتفاعل فيه مجموعة من الأصوات أو الخطابات المتعددة ، إذ تتحاور متأثرة بمختلف القوى الاجتماعية من طبقات ومصالح فئوية وغيرها ... سواء في الحياة اليومية أو في الأدب »[6] فالخطاب الروائي إذن في نظر "باختين" مختمر بالأفكار العامة وتداخل أقوال غريبة معقودة بحورات متعددة تكوّن في الأخير خطابا هو نسيج عدد كبير من الملفوظات المتداولة داخل بنية اجتماعية معنية ، وهذا " الاتجاه الحواري " للخطاب يعطيه إمكانات أدبية وجوهرية[7] ، وهذا ما تؤكده "كوربرات أركسوني" بقولها إن التناص حوار يقيمه النص مع النصوص الأخرى و مع « أشكال أدبية ومضامين ثقافية »[8] ، مما يجعلنا نفهم أن النص الأدبي عامة ، وكما قال "كلود بريفو": «لا ينبت في المطلق ، إنه يدخل في لعبة التوازن بين مختلف القوى الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والماورائية ... »[9].

وقد استمّد " باختين " أسس نظريته من خلال دراساته في الرواية خاصة ما انتهجه الكاتبان الروسيان "تولستوي "و" دوستويفسكي" حيث لا حظ باختين أن روايات دوستويفسكي تتميز بتعدد الأصوات مما سمح لمختلف الشخصيات بالتعبير عن اختلافها بعيدا عن هيمنته كروائي ، وهذا ما جعله يصف رواياته بالحوارية ، خلافا لما جاء مع روايات "تولستوي " التي طغى عليها صوت المؤلف على أصوات الشخصيات ،وهذا ما سماه بـ (**أحادية الخطاب**) وإن كان باختين قد تراجع في النهاية واعتبر روايات هذا الأخير بالرّغم من ذلك تقوم على نوع من الحوار أيضا[10].

Scanné avec CamScanner

إن فكرة الحوارية " Dialogisme " التي تجسدت عند باختين ساهمت في إحلال مصطلح التناص على يد الناقدة الفرنسية ذات الأصل البلغاري "جوليا كريستيفا" J.kristiva التي أمسكت برأس الخيط وأخذت تتابع رصد هذا المصطلح مؤكدة من جهتها وخاصة في دراستها النقدية والروائية على مفهوم التناص بقولها : « إن كل نص مركب كفسيفساء – موزيك Mosiaque/ من الاقتباسات وكل نص هو امتصاص وتحويل لنصوص أخرى»[11]، وقد أشارت " جوليا كريستيفا " في كتابها (علم النص) إلى أن فكرة تداخل النصوص وتقاطعها سبقها إليها العالم السوسري "دوسوسير" F.de saussure الذي تكلم عن مصطلح التصحيف بقولها : « إن مشكل تقاطع و تفسخ عدة خطابات دخيلة في اللغة الشعرية قد تم تسجيله من طرف سوسير في التصحيفات ❖ " Anagrammes " وقد استطعنا من خلال مصطلح التصحيف الذي استعمله "دوسوسير" ،بناء خاصية جوهرية لاشتغال اللغة الشعرية عيّناها باسم التصحيفية "paragrammatisme "أي امتصاص نصوص (معاني) متعددة داخل الرسالة الشعرية ... »[12].

وقد قدمت كرسيتيفا في سياق كلامها توضيحا لذلك التداخل النصي،أشعار "لوتريامون" " Lautréamont " كمثال على التصحيفة الأساسية للمدلول الشعري[13] – فعملية التناص إذن التي أسست لها "جوليا كريستيفا " هي أسلوب امتصاص، وتداخل بين النصوص يعلن في النهاية عن ميلاد نص جديد قام على هدم النصوص الأخرى حيث إن الخطاب الشعري في نظرها يحيلنا على «مدلولات خطابية مغايرة يمكن معه قراءة خطابات عديدة، هكذا يتم خلق فضاء نصي متعدد حول المدلول الشعري ... هذا الفضاء سنسميه فضاء متداخلا نصيا وبهذا اعتبرت كريستيفا ظاهرة التناص أساسا لولادة الشعر وعلى طول التاريخ الأدبي »[14].

إلى جانب أعمال " جوليا كريستيفا" التي نشرتها في سلسلة المقالات بين عامي (1966- 1967) ، ومنذ أن صرّحت عن رأيها هذا اتجاه النص هيمن مفهوم التناص بشكل سريع ومثير ، وتعددت دلالاته وأصبح مفهوما مركزيا ينتقل من مجال دراسي للآخر ومن قطر إلى غيره من الأقطار، بل صار بؤرة تتولد منه المصطلحات التي تعددت نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: المتناص (Intertexte) – المناص (paratexte) – الميتانص (métatexte) معمار النص (architexte) – النص السابق (hypotexte) – النص اللاحق (hypertexte) النص الذاتي (autotexte) ... ولم يكن يدور يخلد "كريستيفا" أن توليد مصطلحات تدور حول النص إلى هذا الحجم وتنتقل بسرعة في مختلف الأقطار

Scanné avec CamScanner

، وهي تقف عند حدود التناص والنص المكون ، والنص الظاهر [15] ، ودائما في ظل الزخم الهائل من الشروح تبيانا لمصطلح التناص و فاعليته في تشكيل بنية النص ذهب مجموعة من النقاد إلى تأكيد ما جاء مع "باختين" و انحرفت منه " جوليا كريستيفا" ، من بين هؤلاء نجد الناقد رولان بارت "R.Barthes" الذي يعتبر احد مقدّمي مصطلح التناص بفرنسا مشيرا بدوره إلى هذا المفهوم بقوله: « أن كل الخطابات تعاد مرة أخرى ، وكل قراءة بنية لنفس تلك الخطابات ... » [16] ينضاف إلى ذلك ما أشار إليه ضمن كتابه (لذة النص) انه لا يوجد نص ينسج أساليبه من ذاته لأن النص المتداخل ، أو ما يصطلح على تسميته بالتناص يعني : « استحالة الحياة خارج النص اللامتناهي » [17] كما ذهب " تودوروف "T.todorov إلى التمييز بين (الحوارية) عند "باختين " ، و (التناصية) عند "كريستيفا" متبنّيا مصطلح التناص كمرتبة من مراتب التأويل [18] .

أمّا "ميشال أريفي" فقد اعتبر التناص " هو مجموع النصوص التي توجد في علاقة تناصية" ، وقال "ريفاتير" : «هو النص المحال إليه» ، وأشار "مالنيدان " : « يمكن أولا في مفهوم التناص ، الفضاء الوهمي الذي تحدث فيه التبادلات عما تتكون منها التناصية » [19] .

أمّا الناقد الفرنسي "جيرار جنيت " " Gerard .Genette " فقد أعطى تعريفا للتناص على أنّه " حضور فعال لنص في نص آخر " ، معتبرا أن التناصية هي تعلق أو تناغم أو انسجام كل ما يجعل نص في علاقات مع نصوص أخرى بأسلوب واع أو غير واع [20] ، محددا هذه العلاقات في خمسة أنواع تحقق التعالي النصي " transetextualite" الذي يمثل بداية هروب النص من ذاته (هجرته) بحثا عن نص آخر ، وانتهاء بـ الما-بين نصيه (paratexte) والميتانص (Métatexte) الذي يأخذ شكل البنيات الجزئية التي يوظفها المبدع في خطابه الأدبي [21] .

إن النص الأدبي في نظر هؤلاء أفق جمالي مفتوح يأبى الانغلاق يتفاعل مع مختلف الأشكال الأدبية ، والمضامين الثقافية والاجتماعية والنفسية ... مما يجعله نصا مركبا ، يتطلب من القارئ وعي وجهد كبير يتوقف على مدى اطلاعه المسبق لإدراك مضامينه ، ويكشف عن المستتر وراء سطوره ،وما دون ذلك « تتعطل أي عملية فهم واستيعاب لهذا النص المركب ، بدون معرفة حقيقية بهذا النص الغائب ، وتخريج معانيه وإضاءة ظلماته الرمزية » [22] .

لقد أصبح التناص تكاملا بين النصوص والمجال التوليدي الذي يخصّب البنى الدلالية فيها بعدما استحال إلى علامة إبداع تتجاوز فيها النصوص

Scanné avec CamScanner

النصوص، إذ تعيدها خلقا جديدا، وقد توصل "مارك انجينيو" في بحثه (التناصية) الى استخلاص عدة وظائف نقدية للتناص يمكن اجمالها كالآتي :

- إحلال موضوعي محل الذاتية، التناصية شبكة من التباينات ، وإعادة استخدام لا محدودة للمواد اللسانية .
- بحث عن المعرفة فيما وراء الشكلانية والبنيوية المناصلة للنصوص .
- التعرف على المعنى الاستعاري والاستخدام الاستعماري ، رمز ايقوني رمز دلالي ، رمز إيديولوجي ... الخ ، على ان النص عمل في نصوص سابقة .
- دخول المصطلح مركز الجذب لمصطلحات كثيرة [23] .

هذا، وقد تلقف العرب هذا المفهوم كعادتهم في تلقف جلّ ما يأتي من الغرب واستخدموه في نقد الشعر خاصة ، وذلك لكثرة ما في الشعر الحديث من الاعتماد على نصوص أخرى، حيث نجدهم قد ألفوا كتبا في هذا المجال ، وكتبوا مقالات ، ودراسات و حتى اطروحات جامعية حول هذا المفهوم سواء من حيث التنظير او التطبيق في القديم او الحديث منهم محمد مفتاح الذي ألف كتابا بعنوان (**تحليل الخطاب الشعري / إستراتجية التناص**) سعيد يقطين في كتابه(**النص الروائي ، النص و السياق**) ، حسين حمزة الذي وضع كتابا هو الآخر في التناص عند محمود درويش سماه (**مراوغة النص**) ، احمد الزعبي بكتابه ايضا (**التناص في شعر محمود درويش**)، و وائل بركات في كتابه (**مفهومات في بنية النص – اللسانية – الشعرية الأسلوبية – التناصية**)، وبشير القمري في كتابه (**شعرية النص الروائي قراءة تناصية في كتاب التجليات**)، وغيرها من الكتب [24] ...

صفوة القول ، رغم التعريفات العديدة التي حاولت تبيان مفهوم التناص ورصده ، وتحديد وظائفه في النص الأدبي إلا انه من الواضح ليس هناك تعريف موحد لمفهوم التناص – كما أقر أغلب الدارسين له – و ربما هذا الذي دفع محمد مفتاح في كتابه (تحليل الخطاب الشعري / إستراتجية التناص) إلى رصده من مختلف التعاريف المذكورة اللاتية :-

1. انه فسيفساء من نصوص أخرى ادمجت في النص المقروء بتقنيات مختلفة .
2. نصوص يمتصها المبدع ويجعلها من عنديّاته ، ويصيرّها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده .
3. تحويل النصوص بتمطيطها او تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها او بهدف تعضيدها .

Scanné avec CamScanner

ومعنى هذا أن التناص هو تعالق – الدخول في علاقة – نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة[25]، وهذا ما يجعل النص الأدبي في مجمله « حصيلة لسلسلة من التحولات النصية السابقة التي تنصهر وتتمازج فيما بينها ، التي يظن المبدع أنه صاحبها لكنها تتسلل إليه بطرق لاشعورية فهي عملية كيميائية تتم في ذهن المؤلف »[26]، ومنه فإن النص يتنازل عن السلطة التي منحتها له البنيوية أو الشكلانية باعتباره سيد يجب النظر إليه في ذاته ولذاته،بعيدا عن كل الاعتبارات الأخرى .

الهوامش:

1- ينظر : إبراهيم الحجري ، شعرية التناص في القص المغربي الراهن ، مجلة عمّان الثقافية ،الأردن، العدد 17 ،2005 ،ص 05 .

* - يقصد بذلك حالات الشعور والعقل ، وفوضى اللاشعور لحظة إنتاج النص من طرف مبدعه ..

2- عبد الله الغدامي ، الخطيئة والتكفير - من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر - ، النادي الأدبي الثقافي ، ط 1 ، 1985 ،ص 320- 321 .

3- إبراهيم الحجري ، شعرية التناص في القص المغربي الراهن ، مجلة عمّان الثقافية العدد 117 ،ص 04 .

4- محمد عزام ، النص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي (دراسة) ، اتحاد الكتاب العرب ، مكتبة الأسد الوطنية ، دمشق 2001 ، ص 13 .

5- ينظر : جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر ، إصدارات رابطة إبداع الثقافية،الجزائر،2003،ص 38 .

6- ميجان الرويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي- إضاءة لأكثر من خمسين تيارا أو مصطلحا نقديا معاصرا- ، المركز الثقافي العربي ، بيروت / المغرب ، ط 2 ، 2000 ،ص 211 .

- tdorov, bakhtine , Le principe dialogue , ED – seuil , 1981 , P 417 نقلا عن : جمال مباركي ، التناص وجمالياته ، ص 38 .

8- محمد خطابي، لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب- ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط1 ، 1996 ،ص 315 .

9- عبد القادر فيدوح ، الرؤيا والتأويل ، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ، ط1 ، 1994 ، ص 10 .

10- ينظر : ميجان الرويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، ص 211 ، 212 .

11 - Gérard .Gengembre , les grands courants de la critique littéraire,ed du seuil , 1996 ,p46 .

* - تصحيفات سوسير هي عبارة عن مجموعة من الدراسات التي تركها ونشرت بعد وفاته وفيها يتعرض لأول مرة لدراسة النص الأدبي واعتبرها بعض النقاد نقله نحو لسانيات تتجاوز الجملة،لتدرس النص الأدبي.

Scanné avec CamScanner

- ينظر : جوليا كريستيفا ، علم النص ، تر : فريد الزاهي ومراجعة عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط2 ، 1997 ،هامش ص 78 .

12- المرجع نفسه ، ص 78 .

13- المرجع نفسه ، ص78 .

14- جوليا كريستيفا ، علم النص ،ص 78- 79 .

15- ينظر : سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي – النصّ و السياق – المركز الثقافي العربي المغرب / لبنان ، المطبعة 2l ، 2001 ، ص 93 - 95 .

16- Gérard.Gengembre , les grands courants de la critique littéraire ,p 46.

17- رولان بارت ، لذة النص ، تر : فؤاد صفا والحسين سبحان ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط1 ، 1988 ،ص 40 .

18- محمد عزّام ، النص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي (دراسة) ،ص 16 .

19- عبد الله أو هيف ، الحداثة في الشعر السعودي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب / لبنان ، ط1 ، 2002 ، ص 94 .

20- Gérard.Gengembre , les grands courants de la critique littéraire,p 47.

21- ينظر ، سعيد يقطين ، الرواية والتراث السردي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ، ص 28- 30 .

22- إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 347 .

23- أنجينيو مارك ، التناصية في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره ، تر : محمد خير البقاعي، مجلة علامات ، جدة ، ج19 ، م5 ، مارس 1996 ، نقلا عن : إبراهيم الحجري ، شعرية التناص في القص المغربي الراهن ، مجلة عمّان الثقافية ، الأردن، ع 117 ، ص 04 .

24- ينظر : عبد الله أبوهيف ، الحداثة في الشعر السعودي ، ص96 ، وينظر أيضا : إبراهيم خليل ، التناص في شعر محمد القيسي ، مجلة عمّان الثقافية ، الأردن ، ع 120 ، ص04 .

25- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط3 ، 1992 ،ص 121 .

26- أحمد يوسف ، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية ،ج2 ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، ط 2002 ،ص 125 .

Scanné avec CamScanner